مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

الحوار الزوجي في ضوء سورة التحريم دراسة موضوعية(*)

د/ محمد يوسف علي صغير
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك
كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد
كلية التربية، جامعة الحديدة

*) تاريخ تسليم البحث 1/4/2025 تاريخ قبوله للنشر 10/5/2025
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

الحوار الزوجي في ضوء سورة التحريم دراسة موضوعية

د/ محمد يوسف علي صغير
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك
كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد
كلية التربية، جامعة الحديدة

الملخص

الحياة الزوجية قد تعترضُها بعض المشكلات التي تؤثر سلبًا على استقرارها واستمراريتها، ولا سبيل لحل هذه المشكلات سوى بالنقاش والتفاهم والحوار الإيجابي بين الزوجين، ولا يقتصر دور الحوار الزوجي على حل المشكلات الأسرية فقط، بل يتعدى ذلك إلى تحقيق التفاعل الإيجابي وتعزيز التواصل المباشر بين الزوجين، وقد هدفت الدراسة إلى إبراز دور الحوار الزوجي في معالجة المشكلات الأسرية والحد من تداعياتها، وتوضيح العوامل المؤثرة في الحوار الزوجي ومقومات نجاحه من خلال سورة التحريم، فضلًا عن إبراز النموذج العملي للحوار الزوجي في بيت النبوة، وفي هذه الدراسة تناول الباحث موضوع الحوار الزوجي في ضوء سورة التحريم مبينًا مفهومه وأهميته وأهدافه، كما قام بدراسة العوامل المؤثرة في الحوار الزوجي في ضوء سورة التحريم، وأجملها في ثمانية عوامل تتمثل في تحديد مرجعية الحوار وضرورة التركيز على موضوعه، وعدم المجاملة في الحق، والرجوع عن الخطأ، وكذا فهم طبيعة الزوجين، والحزم والتحذير، فضلًا عن الحفاظ على خصوصية الأسرة والتدخل الأسري الإيجابي، وفي المبحث الأخير استنبط ستة مقومات لنجاح الحوار الزوجي ألا وهي الثقة المتبادلة، والمحافظة على السر، والمصارحة، والتغافل والتغاضي، والهدوء وعدم الانفعال، والأخذ عن المصادر الموثوقة، مستخدمًا المنهج الاستقرائي الاستنباطي، وقد توصل الباحث إلى العديد من النتائج والتوصيات ومن أهمها: التأكيد على اختلاف الحوار الزوجي في بعض جوانبه عن الحوار العام نتيجة اختلاف العلاقة الزوجية عن غيرها من العلاقات، واعتبار الحوار من أنجع الوسائل لحل المشكلات الزوجية وتحقيق التفاعل الإيجابي بين أفراد الأسرة، متى ما توافرت مقومات نجاحه والاستفادة من العوامل المؤثرة فيه، وأنه لا عجب من وقوع الخلافات الزوجية في بيت النبوة واعتماد النبي صلى الله عليه وسلم أسوب الحوار في حلها ومنع تداعياتها.

الكلمات المفتاحية: الحوار، الزوجي، سورة التحريم، مقومات الحوار.

Marital dialogue In the light of Surat Al-Tahrim Objective study

Dr. Muhammad Yusuf Ali Saghir
Associate Professor of Interpretation and Qur'anic Sciences
at the College of Sharia and Fundamentals of Religion, King Khalid University, and the College of Education, Hodeidah University

Abstract

Marital life may encounter some problems that negatively affect its stability and continuity, and there is no way to solve these problems except through discussion, understanding and positive dialogue between the spouses. The role of marital dialogue is not limited to solving family problems only, but extends to achieving positive interaction and enhancing direct communication between the spouses. The study aimed to highlight the role of marital dialogue in addressing family problems and reducing their repercussions, and clarifying the factors affecting marital dialogue and the elements of its success through Surat At-Tahrim, in addition to highlighting the practical model of marital dialogue in the House of Prophethood. In this study, the researcher addressed the topic of marital dialogue in light of Surat At-Tahrim, explaining its concept, importance and objectives. He also studied the factors affecting marital dialogue in light of Surat At-Tahrim, and summarized them in eight factors represented in determining the reference of the dialogue and the necessity of focusing on its topic, not being complimentary in the right, and returning from error, as well as understanding the nature of the spouses, firmness and warning, in addition to maintaining the privacy of the family and positive family intervention. In the last section, he derived six elements for the success of the dialogue The marital dialogue is mutual trust, keeping secrets, frankness, overlooking and ignoring, calm and not getting excited, and taking from reliable sources, using the inductive deductive approach. The researcher reached many results and recommendations, the most important of which are: Emphasizing the difference between marital dialogue in some aspects and general dialogue as a result of the difference between the marital relationship and other relationships, and considering dialogue as one of the most effective means of solving marital problems and achieving positive interaction between family members, whenever the elements of its success are available and the factors influencing it are benefited from. It is no wonder that marital disputes occurred in the house of the Prophet and the Prophet, may God bless him and grant him peace, relied on the dialogue method to solve them and prevent their repercussions.

Key words: Dialogue, couple, Surah At-Tahrim, components of dialogue.

مقدمة البحث:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فإن الله أنزل القرآن الكريم هدى ورحمة ونورًا وتبيانًا لكل شيء، موجهًا ومنيرًا لدروب الخلق في حياتهم الأولى والآخرة، ومما عني به القرآن الكريم شؤون الأسرة والحياة الزوجية، فجاء بالهدايات والتوجيهات، كون الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وصلاحها واستقرارها مؤشِّر إيجابي على صلاح المجتمع؛ لذا كان بناء الأسرة مقصدًا من مقاصد القرآن الكريم، والسنة النبوية، إذ تبرز العناية بالأسرة من لحظة تفكير الزوجين بتكوينها من خلال الأسس التي حددها الإسلام لبنائها والمواصفات التي على أساسها يتم اختيار الزوجين، مرورًا ببيان الحقوق والواجبات وآداب العشرة بين الزوجين، وانتهاء بأساليب الحفاظ على الأسرة وحل مشكلاتها والارتقاء بها.

والحياة الزوجية قد تعترضُها بعض المشكلات التي تؤثر سلبًا على استقرارها واستمراريتها، وقد تعصف بها، ما لم يتم الإسراع بحلها وتدارك آثارها، ولا سبيل لحل المشكلات الأسرية سوى بالنقاش والتفاهم والحوار الإيجابي بين الزوجين.

ولا يقتصر دور الحوار الزوجي على حل المشكلات الأسرية فقط، بل يتعدى ذلك إلى تحقيق التفاعل الإيجابي بين الزوجين من خلال التواصل المباشر وتبادل الأفكار والآراء، ومناقشة أوضاع الأسرة وكل ما يتعلق بشؤونها من قضايا وأحداثٍ، وما يعترض سيرها من عقباتٍ، مما يؤدي إلى حل المشكلات وتعزيز الألفة والمودة بين الزوجين، وما يعكسه ذلك من أجواء إيجابية على بقية أفراد الأسرة.

لقد جسدت حياة النبي صلى الله عليه وسلم النموذج الكامل لتطبيق المنهج القرآني في شتى مناحي الحياة، ومنها جانب الحياة الزوجية حيث مثل صلوات الله وسلامه عليه القدوة المثلى في حياته الزوجية، وتعامله – صلى الله عليه وسلم – مع أهله داخل منزله وخارجه، والنموذج الأرقى في معالجة المشكلات الزوجية في بيته الكريم، فحياته الزوجية تجسيدٌ عمليٌ لقوله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، ولا شك أن الأساليب التي اتبعها النبي – صلى الله عليه وسلم – في معالجة المشكلات التي عرضت في بيته الكريم تعد بمثابة الحلول لكثير من المشاكل التي تعترض الحياة الزوجية في مختلف الأسر، ومن ذلك ما عرضته لنا سورة التحريم من أحداثٍ تتعلق ببيت النبوة مما كان يجري بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبين زوجاته أمهات المؤمنين والحوارات الدائرة بينهم، والتوجيهات الربانية المتعلقة بذلك، ومن هنا جاءت رغبتي في الكتابة حول هذا الموضوع بعنوان(الحوار الزوجي في ضوء سورة التحريم، دراسة موضوعية).

أهمية الموضوع:

١– ارتباط الموضوع بالقرآن الكريم.

٢– معالجة الموضوع للكثير من المشكلات الأسرية.

٣– يقدم الموضوع أنموذجًا عمليًا من بيت النبوة على أهمية الحوار.

٤– كون الحوار بين الزوجين يمثل عاملًا رئيسًا لاستقرار الحياة الأسرية وتحقيق التفاعل الإيجابي بين الزوجين.

أسباب اختيار الموضوع:

١- أهميته كما سبق بيانه.

٢- رغبتي في تقديم دراسة تسهم في حل المشكلات الزوجية والأسرية.

٣- الحرص على إبراز أحد موضوعات سورة التحريم.

٤- الإسهام في إضافة دراسة معاصرة للمكتبة القرآنية.

أهداف البحث:

١- التعريف بالحوار الزوجي وإبراز أهميته.

٢- إبراز دور الحوار الزوجي في معالجة المشكلات الأسرية والحد من تداعياتها.

٣- توضيح العوامل المؤثرة في الحوار الزوجي ومقومات نجاحه من خلال سورة التحريم.

٤- إبراز النموذج العملي للحوار الزوجي من خلال حوار النبي صلى الله عليه وسلم وزوجه حفصة رضي الله عنها.

تساؤلات البحث:

يمكن لهذا البحث أن يجيب على التساؤلات الآتية:

١- ما مفهوم الحوار الزوجي في القرآن الكريم؟

٢- ما أهمية الحوار الزوجي في معالجة المشكلات الأسرية؟

٣- ما العوامل المؤثرة في الحوار الزوجي؟ وما مقومات نجاحه من خلال سورة التحريم؟

الدراسات السابقة:

١- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة[١]، للباحث يحي محمد حسن زمزمي، رسالة ماجستير تقدم بها الباحث إلى كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، وقد هدفت الرسالة إلى تأصيل مفهوم الحوار وآدابه وضوابطه تأصيلًا شرعيًا في ضوء الكتاب والسنة، بينما يهدف هذا البحث إلى التعريف بمفهوم الحوار الزوجي وأهدافه وأهميته في استقرار الحياة الزوجية وحل خلافاتها، وتسليط الضوء على العوامل المؤثرة في الحوار الزوجي ومقومات نجاحه من خلال آيات سورة التحريم.

٢- الحوار الزوجي في ضوء السنة النبوية[٢]، للدكتورة مستورة رجا حجيلان المطيري، بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، ع(١٠٣)، تناولت فيه الباحثة مفهوم الحوار الزوجي ومقاصده وأسس نجاحه في ضوء السنة النبوية، بينما يركز البحث الحالي على دراسة موضوع الحوار الزوجي في ضوء سورة التحريم من حيث المفهوم والأهمية والأهداف، كما يتناول العوامل المؤثرة ومقومات نجاح الحوار الزوجي من خلال سورة التحريم.

---

(١) رسالة ماجستير منشورة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، دار التربية والتراث: مكة المكرمة، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

(٢) بحث منشور، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، ع(١٠٣)، (٢٠١٥م).

٣- الحوار الأسري وأهميته في وقاية الأسرة من التفكك[١]: دراسة تحليلية تأصيلية، للباحثة نبيلة علي حسين الروني، رسالة دكتوراه تقدمت بها الباحثة إلى كلية الدراسات العليا في جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بجمهورية السودان، بينت فيها الباحثة مفهوم الأسرة وأهمية الحوار الأسري وأنواعه وآدابه وضوابطه ومعوقاته، كما تناولت بعض المشكلات الأسرية وأسبابها وسبل معالجتها مع الإشارة إلى عدد من الحوارات الأسرية الواردة في القرآن الكريم، بينما يقتصر البحث الحالي على دراسة موضوع الحوار الزوجي في ضوء سورة التحريم من حيث المفهوم والأهمية والأهداف، كما يتناول العوامل المؤثرة ومقومات نجاح الحوار الزوجي من خلال سورة التحريم وهي جوانب لم تتطرق إليها الباحثة في رسالتها.

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي، وذلك باستقراء الآيات في سورة التحريم، ثم استنباط معالم الحوار وأثره على حل المشكلات الأسرية، وعلاجها في ضوء سورة التحريم.

إجراءات البحث:

١- عزو الآيات المستشهد بها إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢- عزو الأقوال المقتبسة إلى أصحابها، وذلك في مواضع الاقتباس، وتوثيقها حسب الأصول.

٣- الاعتماد على المراجع التفسيرية بالدرجة الأولى، وسوف أذكر اسم المؤلف مع الكتاب في الحاشية، معتمدًا في ذلك على الموسوعة الشاملة – النسخة الذهبية.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث أساسية وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وتحتوي على مدخل إلى الموضوع وأهميته وأهداف البحث وأسباب اختياره والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد: بين يدي سورة التحريم وأسباب النزول

المبحث الأول: الحوار الزوجي مفهومه وأهميته وأهدافه

المطلب الأول: مفهوم الحوار الزوجي

المطلب الثاني: أهمية الحوار الزوجي

المطلب الثالث: أهداف الحوار الزوجي

المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في نجاح الحوار الزوجي في ضوء سورة التحريم

المطلب الأول: تحديد مرجعية الحوار

(١) رسالة دكتوراه منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، جمهورية السودان، (٢١١٨م).

المطلب الثاني: تحديد موضوع الحوار والتركيز عليه

المطلب الثالث: عدم المجاملة في الحق

المطلب الرابع: الرجوع عن الخطأ

المطلب الخامس: فهم طبيعة الزوجين.

المطلب السادس: الحفاظ على خصوصية الأسرة

المطلب السابع: الحزم والتحذير

المطلب الثامن: التدخل الأسري الإيجابي

المبحث الثالث: مقومات نجاح الحوار الزوجي

المطلب الأول: الثقة المتبادلة.

المطلب الثاني: المحافظة على السر

المطلب الثالث: المصارحة

المطلب الرابع: التغافل والتغاضي

المطلب الخامس: الهدوء وعدم الانفعال

المطلب السادس: الأخذ عن المصادر الموثوقة

الخاتمة: وقد اشتملت على أبرز النتائج والتوصيات التي خرج بها البحث.

المصادر والمراجع

المبحث التمهيدي: بين يدي السورة وأسباب النزول

المطلب الأول: بين يدي سورة التحريم

التعريف بالسورة:

سورة التّحريم، وتسمى سورة لم تحرم وسورة النبي وسورة التحريم، وهي مدنية بإجماع، نزلت بعد سورة الحجرات وقبل سورة الجمعة، وترتيبها في المصحف السادسة والستون، وعدد آياتها اثنتي عشرة آية(١).

سميت سورة التحريم لافتتاح السورة بعتاب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم على سبيل التلطف في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التحريم: ١]، ولبيان تحريم النبي شيئًا على نفسه من غير أن يحرمه الله(٢).

مقصد السورة:

المقصد العام لسورة التحريم هو بَيانُ عدد من المعالِمِ والهداياتِ المتعلقة بالأُسرةِ من خلال الأحكام التشريعية المتعلقة بالحياة الزوجية للنبي صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم، قال البقاعي: "مقصودها الحث على تقدير التدبير في الأدب مع الله ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ومع سائر العباد، والندب إلى التخلق بالأدب الشرعي وحسن المباشرة لاسيما للنساء اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في حسن عشرته وكريم صحبته"(٣).

محور السورة:

يدور محور السورة حول حادثة تحريم النبي – صلى الله عليه وسلم – على نفسه شيئًا مباحًا بمعنى الامتناع منه، وإسراره حديثًا إلى بعض أزواجه وإخبارها به، حيث افتتحت السورة بعتاب لطيف لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – على هذا التحريم سعيًا لإرضاء زوجاته، وتناولت حادثة إفشاء أم المؤمنين حفصة لما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أكدت على أهمية التربية في الحفاظ على الأسرة وحمايتها من العذاب، واختتمت بذكر عدد من الأمثلة لعدد من النساء المؤمنات وضدهن

ومن هنا يمكن القول "إن محور السورة يدور على ضرورة حماية الأسرة من الانحراف، والانجراف في أمور قد تكون بداياتها صغيرة لا تعطى أهمية ولكنها عظيمة الآثار في حياة الأسرة، ومن خلال حادثة التظاهر والتحريم تأتي التوجيهات الربانية إلى الأمة الإسلامية في تربية الأسرة، وهذا الأمر الذي يدور حوله محور السورة أو يشكل محور السورة من دقائق الأمور التي تؤثر على حياة الزوجية"(٤).

موضوعات السورة:

من أهم الموضوعات التي اشتملت عليها السورة:

١– عتاب الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم لتحريمه على نفسه ما أحله الله له إرضاءً لزوجاته.

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧١/١، التحرير والتنوير: ٣٠٧/٢٨.

(٢) ينظر: التفسير المنير: ٣٠١/٢٨.

(٣) نظم الدرر: ٤٣/٨.

(٤) تربية الأسرة المسلمة في ضوء سورة التحريم: ١٧.

٢- دفاع الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم والتأكيد على سمو منزلته، الأمر الذي يوجب التأدب معه وعدم إيذائه.

٣- معاتبة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم على ما بدر منهن، وإرشاد النساء إلى حسن العشرة مع أزواجهن.

٤- أمر المؤمنين بتربية أهليهم ووقاية أنفسهم وأهليهم من عذاب الله.

٥- الأمر بالتوبة النصوح، وبيان آثارها الحسنة.

٦- الأمر بجهاد الكفار والمنافقين.

٧- ضرب الأمثلة لمؤمنات النساء وكافراتهن لما في ذلك من العظة والعبرة لنساء المؤمنين(١).

المطلب الثاني: الجو العام لسورة التحريم وسبب نزولها

الجو العام للسورة:

نزلت سورة التحريم بعد زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش، وجاءت لتلقي الضوء على جانب مما يعيشه البيت النبوي ولتنقل صورة واقعية من الحياة الزوجية للنبي صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم، وهي صورة لا تختلف كثيرًا عن الحياة الزوجية لسائر البشر بكل ما فيها أفراح ومسرات ومشاكل ومنغصات، إذ تبدأ السورة بالإشارة إلى ما جرى بين النبي صلى الله عليه وسلم وبعض أزواجه وما تلى ذلك من قصة التحريم وعتاب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم لتحريمه ما أحل الله له ابتغاء مرضاة بعض أزواجه، ثم تأتي الآيات التي لتأمر المؤمنين بوقاية أنفسهم من عذاب النار، وتختتم السورة بضرب المثال للمرأة المؤمنة والكافرة(٢).

إن سورة التحريم هي إحدى سور القرآن الكريم التي تقدم إرشادات حول كيفية حل المشكلات الزوجية بطريقة مبنية على القيم والمبادئ الإسلامية لبناء علاقة زوجية صحية ومستدامة قائمة على المودة والثقة والتفاهم والحوار وغيرها من الأسس التي يقوم عليها بناء الأسرة.

أسباب نزول السورة:

تعددت الروايات الواردة في سبب نزول الآيات وسوف يقتصر الباحث على ذكر ثلاث روايات وهي:

١- ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلًا فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم فلتقل إني أجد فيك ريح مغافير(٣) أكلت مغافير فدخل على إحداهما فقل له ذلك فقال (بل شربت عسلًا عند زينب بنت جحش ولن أعود له) فنزلت {يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك – إلى – إن تتوبا إلى الله} لعائشة وحفصة إذ أسر النبي إلى بعض أزواجه، لقوله (بل شربت عسلًا)(٤).

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:١/٤٧١، التحرير والتنوير: ٢٨/٣٠٩.

(٢) ينظر: التفسير المنير: ٣٨/٣٠١.

(٣) المغافير صمغ حلو له رائحة كريهة، ينظر: فتح الباري: ٩/٣٧٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب لم تحرم ما أحل الله لك: ٥/٢٠١٦ رقم: (٤٩٦٦)، صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته: ٢/١١٠٠ رقم: (١٤٧٤)، واللفظ للبخاري.

٢- ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قلت لعمر بن الخطاب: من المرأتان؟ قال عائشة وحفصة، وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم القبطية، أصابها النبي - صلى الله عليه وسلم - في بيت حفصة في نوبتها فوجدت حفصة فقالت يا نبي الله لقد جئت إليّ شيئًا ما جئت إلى أحد من أزواجك، في يومي وفي دَوْري وعلى فراشي؟! قال: ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها، قالت: بلى، فحرمها، وقال لها: لا تذكري ذلك لأحد، فذكرته لعائشة فأظهره الله عليه فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ﴾ الآيات كلها، فبلغنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كفّر عن يمينه وأصاب جاريته"(١).

٣- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حَرَّمها، فأنزل الله، عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾؟ إلى آخر الآية)(٢).

والراجح من وجهة نظر الباحث أن الآية نزلت في تحريم النبي صلى الله عليه وسلم العسل على نفسه، وأنه شربه عند زينب بنت جحش، وأن اللائي تظاهرن عليه حفصة وعائشة، لورود رواية العسل في الصحيحين، وهو ما ذهب اليه القرطبي وابن كثير والنووي وابن عاشور وغيرهم.

قال القرطبي بعد أن أورد الروايات المتعددة "وإنما الصحيح أنه كان في العسل وأنه شربه عند زينب، وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه، فجرى ما جرى فحلف ألا يشربه وأسر ذلك ونزلت الآية في الجميع"(٣)، كما ذكر ابن كثير الاختلاف في سبب نزول صدر السورة وساق الروايات المتعددة في ذلك ثم نص على أن الصحيح أن السبب كان في تحريم النبي صلى الله عليه وسلم العسل على نفسه(٤)، وقال النووي: "كما أن الصحيح في سبب نزول الآية أنها في قصة العسل لا في قصة مارية المروي في غير الصحيحين، ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح"(٥).

المبحث الأول: الحوار الزوجي مفهومه وأهميته وأهدافه

المطلب الأول: مفهوم الحوار الزوجي

الحوار لغة: الحوار والمحاورة مصدر للفعل حاور، أصله من الحور وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، وأصل المحاورة المراجعة، تقول: حاوره مُحاورة وحوارًا: جاوبه، وحاوره: جادله، وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة(٦).

قال الراغب: "الحَوْرُ: التّردّد... وحار الماء في الغدير: تردد فيه، وحار في أمره: تحيَّر... والمحاوَرَةُ والحِوَار: المرادّة في الكلام، ومنه التَّحَاوُر، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١]"(٧).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن: ٤٧٩/٢٣.

(٢) سنن النسائي الكبرى: ٤٩٥/٦ رقم: (١١٦٠٧)

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٨٠/١٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ١٦٠/٨.

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٧٧/١٠.

(٦) ينظر: كتاب العين: ٢٨٧/٣، لسان العرب: ٢١٧/٤، القاموس المحيط: ٣٨٠.

(٧) المفردات في غريب القرآن: ص٢٦٢.

الحوار اصطلاحًا: تعددت تعريفات الحوار في الاصطلاح ومن أبرزها تعريف الهيتي الذي عرف الحوار بأنه "أسلوب يجري بين طرفين، يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به، ويراجع الطرف الآخر في منطقه وفكره قاصدًا بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره"(١)، وعرف الزمزمي الحوار بأنه "نوع في الحديث بين شخصين، أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب"(٢)، كما عُرف بأنه" محادثة بين شخصَين أو فريقَين حول موضوعٍ مُحدَّد؛ لكلٍ منهما وجهة نظر خاصّة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة أو إلى أكبر قَدَر مُمكن من تطابُق وجهات النّظر، بعيدًا عن الخصومة أو التعصُّب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطّرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت على يد الطّرف الآخر"(٣).

تعريف الحوار الزوجي:

يقصد بالحوار الزوجي "التفاعل بين الزوجين والحديث عما يتعلق بشؤونهم وشؤون الأسرة من أهدافٍ ومقوماتٍ وعقباتٍ، في جميع الموضوعات الدينية والتوجيهية والنفسية والترفيهية والخلافات الزوجية، عن طريق تبادل الأفكار والآراء مع الالتزام بالآداب الاجتماعية والعلمية واللفظية للحوار التي أرساها القرآن الكريم، مما يساعد على تهيئة أجواء الألفة والتواصل داخل الأسرة"(٤).

وقد عرف بعض الباحثين الحوار الزوجي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه" جملة الأساليب المادية والمعنوية المباشرة وغير المباشرة التي أرساها النبي صلى الله عليه وسلم في حواراته مع زوجاته أمهات المؤمنين للتواصل والاتصال الناظم للعلاقة بين الزوجين داخل الأسرة بغرض تهيئة جو الألفة والمودة داخلها وبنائها على أسس مستقرة"(٥).

ومن خلال ما سبق يمكن تعريف الحوار الزوجي بأنه حالة من النقاش الهادئ بين الزوجين، تهدف إلى تعزيز التواصل الإيجابي بينهما وحل الخلافات الزوجية والمشكلات الأسرية، ومناقشة القضايا المتعلقة بحياة الزوجين وتربية الأبناء ورعايتهم، وتوفير الأجواء المناسبة لبناء أسرة سعيدة متآلفة يسودها الحب والمودة والتفاهم والاحترام والتفاهم.

المطلب الثاني: أهمية الحوار الزوجي

الأسرة هي اللبنة الأولى لبناء المجتمع، وهي المسئولة عن التربية بكافة أنواعها ومجالاتها، ولكي تنجح الأسرة في تحقيق أهدافها وتربية أفرادها، لابد أن تكون قائمة على أسس صحيحة وممارسات سليمة وبيئة تفاهم مستمر بين الزوجين، من خلال تعزيز الحوار الإيجابي المفتوح، فإذا كان الكلام مهمًّا بين الناس لتحقيق التعارف والتعاون فإنه

(١) الحوار الذات والآخر: ص٣٥، ص٦٧

(٢) الحوار آدابه وضوابطه في ضوءِ الكتاب والسنة: ص٢٢.

(٣) الحِوار الإسلامي المسيحي: ص٢٠.

(٤) الأبعاد التربوية لآيات الحوار في القرآن الكريم: ص٤٠.

(٥) دور كلية التربية في ترسيخ المضامين الناظمة للعلاقات الزواجية من حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع أمهات المؤمنين للطلاب: ص١٣٤٩.

أكثر أهمية بين الزوجين، وإذا كان للحوار أهمية قصوى في تحقيق التعاون بين البشر وحل مشكلاتهم فإنه أكثر أهمية للزوجين، وذلك عائد إلى طبيعة العلاقة الزوجية القائمة على المودة والمحبة والتراحم والتعاون، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

إن الحوار الزوجي من أهم وسائل الاتصال الأسري الفعال، حيث تتمثل أهميته في تعزيز التفاهم المتبادل وبناء الثقة بين الزوجين، والتعبير عن الاحتياجات والرغبات، والتخفيف من المشاعر المكبوتة، وتعرف كل من الزوجين على نفسية الآخر وطبائعه، كما تتمثل في بناء علاقة زوجية بعيدة عن التوتر، تنعكس على أفراد الأسرة فيتحقق معها التواصل وتنمو المشاعر الإيجابية، وتسود روح المحبة والمودة، ويسهم الحوار الزوجي في إقامة علاقات إيجابية مبنية على الاحترام المتبادل بين الزوجين وكافة أفراد الأسرة وتعزيز التفاعل الاجتماعي، وتعليم كل فرد في الأسرة أهمية احترام الآراء وتقبل الآخرين، كما يساعد على بناء الثقة لدى أفراد الأسرة ويجعلهم أكثر قدرة على تحقيق طموحاتهم وآمالهم، ويعمل على وتقريب وجهات النظر وحماية الأسرة من الصراعات(١).

إن أهمية الحوار بين الزوجين لا تنبع من كونه حوارًا رسميًا قائمًا على آداب وضوابط وأهداف، إنما تنبع من الأثر الإيجابي الذي يتركه في القلوب فتتقارب والأرواح فتتآلف والنفوس فتصفوا، فكل كلمة إيجابية يقولها أحد الزوجين تقع من الآخر موقعًا حسنًا وتترك أثرًا جميلًا يدفعه لمقابلته بالمثل ولتغيير سلوكه نحو الأفضل.

ولعل من أبرز المشكلات التي تعاني منها الأسر اليوم غياب الحوارِ وانعدامه بين الزوجين أو ندرته بحيث لا يتم الا في حالات محدودة، فقد كشفت الدراسات العلمية أن أحد الأسباب الرئيسة للطلاق هو انعدام لغة الحوار بين الزوجين، وأن لصمت الزوج تأثير سلبي على نفسية الزوجة والحياة الزوجية عامة، "إذ يسهم الصمت في إرباك الحياة الزوجية، وإثارة الشكوك فيها، فقد تعتقد الزوجة انشغال زوجها بأخرى، وقد يبادلها الزوج نفس الشك، وقد يظن كلا الطرفين أن الآخر يتخذ موقفًا خاصًا تجاهه؛ فيدَّعي الإرهاق والتعب ليهرب من الحوار وجلسات النقاش، وهكذا تسهم الشكوك في شرخ جدار الزوجية، وتقويض أعمدتها، والكلام والحوار هما الحل الأمثل لإعادة المياه إلى مجاريها، والحياة إلى طبيعتها.

وسواء أكان الصمت من الزوج أم من الزوجة فإن مواجهته وتمزيقه بالكلام أمر حيوي من أجل بقاء كيان الأسرة؛ لأن الكلام عنصر من أهم عناصر التفاهم بين الزوجين والأولاد، فالبيت المسلم يقوم على مشاركة الزوجين، ويهدف إلى السكن والمودة والرحمة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالاتصال بين الزوجين سواء على المستوى المادي أو المعنوي، وذلك من أهم الواجبات الملقاة على عاتق كل منهما"(٢).

إن الباحث في موضوع الحوار الزوجي يجد أنه لم يكن معروفًا قبل الإسلام، تماشيًا مع وضع المرأة آنذاك حيث كانت تعيش مسلوبة الحقوق، فلم يكن متاحًا لها مراجعة زوجها أو مناقشته ومحاورته، حتى جاء الإسلام فكرم

(١) ينظر: الحوار الأسري التحديات والمعوقات: ص ٧٤-٧٥.

(٢) أزمة الصمت في الحياة الزوجية كيف تتجاوزينها: ص١.

المرأة ورفع منزلتها وشرع لها من الحقوق مالم تكن تعرفه، يدل على ذلك قول عمر رضي الله عنه (كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئًا فلما جاء الإسلام وذكرهن الله رأينا لهن بذلك علينا حقًا من غير أن يدخلهن في شيء من أمورنا وكان بيني وبين امرأتي كلام فأغلظت لي فقلت لها وإنك لهناك؟ قالت تقول هذا لي وابنتك تؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فأتيت حفصة فقلت لها إني أحذرك أن تعصي الله ورسوله)[1]، قال ابن حجر: "وفي رواية يزيد بن رومان كنا ونحن بمكة لا يكلم أحد امرأته الا إذا كانت له حاجة قضى منها حاجته وفي رواية عبيد بن حنين ما نعد للنساء أمرًا وفي رواية الطيالسي كنا لا نعتد بالنساء ولا ندخلهن في امورنا"[2].

والمتتبع لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية يدرك مدى تكريم الإسلام للمرأة وتحريره لها ولعل قوله صلى الله عليه وسلم: (إنما النساء شقائق الرجال)[3]، نص صريح في بيان المكانة التي قررها الإسلام للمرأة، ومن ذلك حقها في المناقشة والحوار وإبداء رأيها في القضايا التي تمسها.

لقد أكد الإسلام على أهمية الحوار بين الزوجين، من خلال النقاشات الإيجابية المتعلقة بالحياة اليومية، حيث نقلت الآيات القرآنية صورًا متعددةً للحوار الزوجي في القرآن الكريم، ومن ذلك ما اشتملت عليه سورتي الأحزاب والتحريم من نماذج لحوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجاته أمهات المؤمنين، وما حوته السنة النبوية وسيرته صلى الله عليه وسلم من الأحاديث والأمثلة الدالة على أهمية الحوار الزوجي، كما جسدت حياة النبي صلى الله عليه وسلم النموذج العملي للعلاقة الزوجية القائمة على الحوار والتفاهم.

ومن أمثلة حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجاته ما حدث في بداية نزول الوحي حين عاد خائفًا فزعًا إلى أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأخبرها بما حدث له وما رآه وسمعه في أول لقاء له مع جبريل عليه السلام، وفيه (فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال (زملوني زملوني)، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر (لقد خشيت على نفسي)، فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق)[4] إلى آخر الحوار الذي دار بينهما، وكذا استشارته صلى الله عليه وسلم لأم سلمة يوم الحديبية وما أشارت به حين أمر الصحابة الكرام أن ينحروا الهدي ويحلقوا رؤوسهم بعد أن وقع صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح مع سهيل بن عمر حيث دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فأشارت عليه أن يخرج إلى الناس ولا يكلم أحدًا حتى ينحر ويحلق، فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا[5]، وغير ذلك كثير من حواراته صلى الله عليه وسلم مع أزواجه، وقد تتبع بعض الباحثين

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجوز من اللباس والبسط: ٢١٩٧/٥ رقم: (٥٥٠٥).
(٢) فتح الباري: ٢٨١/٩.
(٣) سنن الترمذي، كتاب الطهارة، باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللا ولا يذكر احتلامًا: ١٨٩/١ رقم: (١١٣)، وصححه الألباني.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ٤/١ رقم: (٣).
(٥) ينظر: المصدر السابق، كتاب الجهاد، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب: ٩٧٤/٢ رقم: (٢٥٨١).

حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجاته أمهات المؤمنين، فأحصى سبعة وسبعين حوارًا زوجيًا في صحيح البخاري فقط(١).

إن المتأمل في الآيات الواردة صدر سورة التحريم يدرك أهمية الحوار الزوجي في حل مشكلة الغيرة التي انتابت زوجتي النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وحفصة رضي الله عنهن والفعل الذي قمن به، والموقف الذي اتخذه النبي صلى الله عليه وسلم، وما تبع ذلك من إفشاء أم المؤمنين حفصة سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف أثمر الحوار الزوجي بين النبي صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين حفصة رضي الله عنها في حل المشكلة القائمة في بيت النبوة ومنع تداعياتها ومعالجة آثارها.

المطلب الثالث: أهداف الحوار الزوجي

حوار الزوجين هدف بحد ذاته مهما كانت موضوعاته، فهو يعرف كلا منهما بطبيعة الآخر ويشعره باهتمام الآخر به وحرصه عليه، فضلًا عن تعزيز العلاقة الزوجية بشكل عام، ومع ذلك لابد من تحديد هدف الحوار والغاية التي يريد الزوجان الوصول إليها في حوارهما، ولعل أهم أهداف الحوار الزوجي يتمثل في مناقشة المشكلات الأسرية والخلافات الزوجية بشكل إيجابي والإسهام في حلها بطريقة مقبولة، إذ من الطبيعي اختلافُ وجهات النظر بين الزوجين في بعض القضايا كما هو حال بقية البشر، وهذه الخلافات أمر عادي لا يخلو منه بيت، فإذا وُفِّق الزوجان لاعتماد لغة الحوار وحلِّ خلافاتهما في جوٍّ تسُودُه المودةُ والاحترام المتبادل استمرَّتِ العلاقةُ بينهما، ورفرفَتِ السعادةُ على أسرتهما، أما إذا لم يكن الحوار وسيلتهما فستزداد الخلافات وتتطور المشكلات، حتى يصعب حلها ويستحيل علاجها، وربما حصل الفراق وتشتت شمل الأسرة.

والخلافات الزوجية هي تلك الأزمات الناتجة عن صعوبة أو عدم التواصُل الجيد بين الزوجين، ولها أسباب متعددة منها اختلاف شخصية الزوجين في الالتزام الديني والقِيَمي، واختلاف العادات والاهتمامات وطريقة التفكير، وصعوبة الأوضاع المادية، وكثرة الأعباء والضغوطات الأُسريَّة والاجتماعية، وكذا انعدام الثقة بين الزوجين أو ضعفها، وضعف التواصُل وانشغال الزوجين عن بعض، وعدم القدرة على حَلِّ المشكلات بطريقة صحيحة، فضلًا عن تدخُّلات الأهل والأقارب في الحياة الزوجية وغير ذلك من الأسباب(٢)، فمهما كانت العلاقة الزوجية ناجحةً في ظاهرها، إلا أنها لا تخلو من المشكلات، التي تحتاج إلى سرعة حلٍ قبل أن تكبر وتتفاقم وتتسع آثارها ويصعب علاجها، لذا حث تعالى على حسن المعاشرة بين الزوجين حتى مع كراهة أحدهما للآخر، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يفرك مؤمن مؤمنة؛ إن كره منها خلقًا رضي منها آخر، أو قال غيره)(٣).

---

(١) يراجع: المضامين التربوية في حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع النساء: ص١٦٢.

(٢) يراجع: الحوار الأسري واهميته في وقاية الأسرة من التفكك: ص١٤٠-١٨٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب الوصية بالنساء: ١٠٩١/٢ رقم: (١٤٦٩).

ومن أبرز المشكلات التي حدثت في بيت النبوة وعالجها النبي صلى الله عليه وسلم بالحوار ما ورد في سبب نزول سورة التحريم، وكذًا ما وقع من أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها حين أفشت سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف عالج النبي صلى الله عليه وسلم المشكلة بالحوار كما نقلت ذلك الآيات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣].

المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في إنجاح الحوار الزوجي من خلال السورة

المطلب الأول: تحديد مرجعية الحوار

لقد وضعت الشريعة الإسلامية الغراء أسسًا للحوار وقعدت قواعد يجب أن يتم الحوار والنقاش على أساسها، ومن هذه الأسس أن يكون كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هما المرجع عند التنازع والاختلاف، ويكون الاحتكام إلى دين الله وشرعه، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، والمعنى: وما اختلفتم أيها الناس فيه من أمور الدين والدنيا وتنازعتم فالحكم فيه لله ورسوله فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا له بالصحة فهو الحق(١).

وقد جاءت سورة التحريم مقررة لهذه الحقيقة في مطلعها حيث افتتحت بعتاب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين حرم على نفسه العسل وفي رواية جاريته مارية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم:١] ففي الآية عتاب واضح وتأكيد على أن التحليل والتحريم حق لله عز وجل، وأن المرجع فيه شريعته تعالى، فما أحله الله لا يجوز تحريمه وما حرمه لا يجوز لأحد تحليله.

قال الطبري: "لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شيء مما أحل الله لعباده المؤمنين على نفسه من طيبات المطاعم والملابس والمناكح إذا خاف على نفسه بإحلال ذلك بها بعض العنت والمشقة؛ ولذلك رد النبي صلى الله عليه وسلم التبتل على ابن مظعون فثبت أنه لا فضل في ترك شيء مما أحله الله لعباده، وأن الفضل والبر إنما هو في فعل ما ندب عباده إليه، وعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنه لأمته"(٢)، قال الشوكاني: "وهذا هو الحقّ أن تحريم ما أحلّ الله لا ينعقد ولا يلزم صاحبه، فالتحليل والتحريم هو إلى الله سبحانه لا إلى غيره، ومعاتبته لنبيه صلى الله عليه وسلم في هذه السورة أبلغ دليل على ذلك"(٣).

(١) ينظر: جامع البيان: ٥٠٦/٢١، تفسير القرآن العظيم: ٣٤٥/٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٢/٦.

(٣) فتح القدير: ٢٥١/٧.

المطلب الثاني: تحديد موضوع الحوار والتركيز عليه

من المهم تحديد موضوع الحوار ابتداء، وإدراك الزوجين لأهميته وأنه يستحق النقاش، ثم التركيز على موضوع الحوار والاقتصار عليه واستيفاء جوانبه، وعدم التشعب في فروعه أو التنقل من موضوعٍ إلى آخر، فموضوع الحوار هو جوهر عملية الحوار وسببها، لذا يجب على الزوجين الاتفاق على موضوع محدد أو قضية محددة يدور حولها الحوار والنقاش والتركيز عليها؛ لأن عدم تحديد الموضوع والاقتصار عليه يؤدي إلى التشتت وبعثرة الأفكار وعدم وضوحها، ويُحول الحوار إلى مهاترات وجدل عقيم لا يجدي نفعًا ولا يحل مشكلة.

بعد تحديد موضوع الحوار يجب على المتحاورين الالتزام به والاقتصار عليه؛ لأن ذلك مما يكسب الحوار الزوجي قيمة وأهمية، ويجعله ناجحًا مثمرًا، وبعيدًا عن التخبط والعشوائية، فالمنهج العلمي في الحوار يقتضي تحديد نقاط الاختلاف بين المتحاورين بدقة، ثم تُرتب في سلم المحاورة الواحدة بعد الأخرى، فيُبدأ بالأهم ثم المهم، وينتقل الحوار من الأصول إلى الفروع، ومن الكليات إلى الجزئيات بتناسق علمي مطرد، فليس من الصواب أن تُناقش الفروع قبل الاتفاق على الأصول(١).

إن المتتبع لحوارات النبي صلى الله عليه وسلم يجد التزامه بتحديد موضوع الحوار واقتصاره عليه واضحًا، ومن ذلك حواره صلى الله عليه وسلم مع أم المؤمنين حفصة في سورة التحريم كما هو بيّن من خلال دراسة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣] حيث كان الحوار واضحًا وموضوعه محددًا ودقيقًا اقتصر على قضية إفشاء أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أسر به إليها.

المطلب الثالث: عدم المجاملة في الحق

لا ينبغي المجاملة في الحق ولا المداهنة فيه، فلا يجوز تحريم ما أحله الله أو تحليل ما حرمه الله لأجل أي مخلوق كان، فالله سبحانه هو الخالق المشرع للحلال والحرام بعلمه وحكمته، ولأجل استيعاب الأمر أشارت الآيات إلى ما وقع من النبي صلى الله عليه وسلم حين حرم على نفسه أمرًا أحله الله له مجاملة لبعض نسائه ومراضاة لهن وتطييبًا لخاطرهن، حيث جاء العتاب الرباني بالأمر باتباع الحق والنهي عن المجاملة فيه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: ١]، قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا أيها النبيّ المحرّم على نفسه ما أحلّ الله له، يبتغي بذلك مرضاة أزواجه، لم تحرّم على نفسك الحلال الذي أحله الله لك، تلتمس بتحريمك ذلك مرضاة أزواجك"(٢)، قال القرطبي: ﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ أي تفعل ذلك طلبًا لرضاهن، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ غفور لما أوجب المعاتبة، رحيم برفع المؤاخذة، وقد قيل: إن ذلك كان ذنبا من الصغائر، والصحيح أنه معاتبة على ترك الأولى، وأنه لم تكن له صغيرة ولا كبيرة"(٣).

(١) ينظر: الحوار الزوجي في ضوء السنة النبوية: ص٤١٥، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية: ص٦٤.

(٢) جامع البيان:٢٣/٤٧٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن:١٨/١٨٥.

ففي هذه الآية نجد الخطاب الرباني يبدأ بمناداة النبي صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة وفيه من التشريف والتطمين، ثم يأتي العتاب في صيغة سؤال تلطف واستفهام مستعمل في معنى النفي﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ أي لا يوجد ما يدعو إلى أن تحرم على نفسك ما أحل الله لك من الاستمتاع بالسرية أو شرب العسل، ثم ذكر السبب الدافع للتحريم وهو الرغبة في إرضاء الزوجات والتخفيف من غيرتهن، ﴿ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾، وهذا السبب غير معتبر لأنه مبني على الغيرة بين الأزواج[1]، "وهذا عتاب بطريق التلطف، مثل قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، وسمي الامتناع عن الحلال ذنبا، وهو مباح لغيره، تعظيما لقدره الشريف، وإشارة إلى أن ترك الأولى بالنسبة إليه كالذنب، وإن لم يكن ذنبا في الواقع، والمراد بالتحريم: الامتناع من تناول العسل أو الاستمتاع ببعض الزوجات، وليس المراد اعتقاد كونه حرامًا بعد ما أحله الله، لأن تحريم الحلال كفر"[2].

المطلب الرابع: الرجوع عن الخطأ

الخطأ أمر وارد في حياة البشر، وكثيرًا ما يخطئ الإنسان في حق نفسه أو غيره بقصد أو بدون قصد، والواجب في هذه الحالة سرعة الرجوع عن الخطأ والمسارعة إلى إصلاحه، فالرجوع عن الخطأ خطوة مهمة في تطوير حياة الإنسان الشخصية وبناء علاقات صحية مع ذاته ومع الآخرين، إذ لا يكفي الاعتراف بالأخطاء والاعتذار عنها، بل يجب تصحيح السلوك وإصلاح الخطأ وتجنب تكراره، كما أن الرجوع إلى الحق فضيلة حث الله عليها وأرشد إليها، وحبب إلى المؤمن الاتصاف بها.

إن الميزان الذي به يعرف الحق من الباطل، والمرجعية التي يخضع لها المتحاورون ويقيسون بها الصواب من الخطأ هي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد حدد الإسلام مرجعية الاختلاف في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، فهذه الآية خاطبت المؤمنين بصفة الإيمان المحببة إلى النفس المسلمة، كما أكدت على بمقتضيات هذه الصفة وأنها ليست كلمة تجري على اللسان بل هي قولٌ وعمل، وحدد مرجعية الخلاف وجهة التحاكم عند الاختلاف.

وهنا في سورة التحريم نجد التوجيه الرباني للرسول صلى الله عليه وسلم بالعودة عن خطئه والتكفير عن اليمين التي حلفها وحرم بموجبها زوجاته على نفسه، قال تعالى: ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ "أي شرع الله لكم تحليل أيمانكم بأداء الكفارة... وبيّن لكم ذلك، وليس لأحد أن يحرّم ما أحل الله، فالتحليل والتحريم إلى الله سبحانه، فإن فعل الإنسان شيئًا من ذلك لا ينعقد ولا يلزم صاحبه، والله متولي أموركم وناصركم على الأعداء، وهو العليم بما فيه صلاحكم وفلا حكم، الحكيم في أقواله وأفعاله وتدبير أموركم"[3].

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠٩/٢٨، التفسير القرآني للقرآن: ١٠٢٢/١٤.

(٢) التفسير المنير: ٣٠٦/٢٨.

(٣) المصدر السابق: ٣٠٧/٢٨.

ففي هذه الآية دعوة للرجوع عن الخطأ، والتحلل من اليمين في حال عقدها، دل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه)(١)، قال الزجاج: "ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله، ولم يجعل لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يحرم إلا ما حرم الله عليه، فمن قال لزوجته أو أمته: أنت على حرام؛ ولم ينو طلاقًا ولا ظهارًا فهذا اللفظ يوجب كفارة اليمين، ولو خاطب بهذا اللفظ جمعًا من الزوجات والإماء فعليه كفارة واحدة"(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]، دعوة لزوجتي النبي صلى الله عليه وسلم حفصة وعائشة للتوبة من صنيعهما، والرجوع عن الخطأ الذي اقترفتاه في حق النبي صلى الله عليه وسلم، حين تمالئتا عليه واتفقتا على فعل ما يكره ودفعتاه لتحريم العسل أو الجارية على نفسه، وحديثهما عن السر الذي أسربه صلى الله عليه وسلم لحفصة، وفي الآية تأكيد على مكانة النبي صلى الله عليه وسلم ومنزلته عند ربه تعالى، وإرشاد لأمهات المؤمنين للحرص على مرضاته صلى الله عليه وسلم وعدم إيذائه، وأن يحبا ما يحب ويكرها ما يكره.

قال القرطبي: "قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني حفصة وعائشة، حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل إلى خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم، ﴿فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ أي زاغت ومالت عن الحق، وهو أنهما أحبتا ما كره النبي صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل، وكان عليه السلام يحب العسل والنساء، قال ابن زيد: مالت قلوبهما بأن سرهما أن يحتبس عن أم ولده، فسرهما ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم، وقيل: فقد مالت قلوبكما إلى التوبة"(٣).

المطلب الخامس: فهم طبيعة الزوجين

خلق الله البشر متفاوتين بطباعهم، مختلفين في تصرفاتهم، متعددين في طرق تفكيرهم، وهذا الاختلاف مستمر إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٨-١١٩].

والمطلوب ألاَّ يصل هذا الاختلاف إلى النفور والكراهية والتهاجر والتباغض، فإذا كان هذا مطلوبًا بين عموم المسلمين فهو بين الزوجين أهم وآكد، إذ يجب ألاَّ يكون الاختلاف سببًا في التنافر بين الزوجين بل يجب أن يحصل نوع من التقارب وذلك من خلال معرفة طريق تفكير الزوجين أحدهما للآخر، وهناك أمران أساسيان متعلقان بمعرفة كل من الزوجين للآخر وفهم طبيعته وهما:

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نذر من حلف يمينا فرأى غيرها خيرًا منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه: ١٢٧١/٣ رقم: (١٦٥٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٨١/١٨.

(٣) المصدر السابق: ١٨٩/١٨.

١-التعرف على فطرة الجنس الآخر: بمعنى معرفة كل من الرجل والمرأة للطبيعة التي خلق عليها الطرف الآخر، فطرةً وهيئةً وأسلوبًا وتفكيرًا؛ لأن كلا منهما يختلف عن الآخر اختلافًا كبيرًا، وقد صور النبي ﷺ طبيعة المرأة في أحاديث متعددة، وحث على مراعاتها ومن ذلك قوله ﷺ.

(واستوصوا بالنساء خيرًا فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وأن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرًا)[١]، قال الشوكاني: "الحديث فيه الإرشاد إلى ملاطفة النساء والصبر على ما لا يستقيم من أخلاقهن، والتنبيه على أنهن خلقن على تلك الصفة التي لا يفيد معها التأديب ولا ينجع عندها النصح، فلم يبق إلا الصبر والمحاسنة وترك التأنيب والمخاشنة"[٢].

إن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة ليست ناشئة عن اختلاف الأعضاء التناسلية، أو عن اختلاف في طريقة التربية والتعليم، وإنما تنشأ بسبب طبيعة تكوين كل منهما، وإن الجهل بذلك هو الذي دفع بعض المفكرين إلى القول بإمكانية تلقي الجنسين ثقافة واحدة وأن يمارسوا أعمالًا متماثلة، والحقيقة أن المرأة مختلفة اختلافًا عميقًا عن الرجل، فكل جزء في جسمها وكل جهاز من أجهزتها العضوية يحمل طابع جنسها، ومن المستحيل أن تتطابق مع الرجل، فيجب عليها أن تنمي استعداداتها في اتجاه طبيعتها الخاصة التي خلقت عليها[٣].

٢-التعرف على طبيعة الجنس الآخر: إن لكل شخصٍ طباعه الخاصة التي اعتادها وعاش بها، وأكثر ما تظهر هذه الطباع في حالات الفرح والحزن والخوف والغضب، لذا وجب على كل من الزوجين معرفة هذه الحالات وكيفية التعامل معها، وهذا ما جسده رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعامله مع زوجاته، ومن ذلك ما موقفه مع عائشة رضي الله عنها حيث قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم (إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى) قالت فقلت من أين تعرف ذلك؟ فقال (أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد وإذا كنت غضبى قلت لا ورب إبراهيم)، قالت قلت أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك)[٤].

قال ابن حجر: "قوله إني لأعلم إذا كنت عني راضية الخ يؤخذ منه استقراء الرجل حال المرأة من فعلها وقولها فيما يتعلق بالميل إليه وعدمه والحكم بما تقتضيه القرائن في ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم جزم برضا عائشة وغضبها بمجرد ذكرها لاسمه وسكوتها فبنى على تغير الحالتين من الذكر والسكوت تغير الحالتين من الرضا والغضب"[٥].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء: ١٩٨٧/٥ رقم: (٤٨٩٠)، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء: ١٠٩٠/٢رقم: (١٤٦٨)، واللفظ للبخاري.

(٢) نيل الأوطار: ٢٤٤/٦.

(٣) الانسان ذلك المجهول: ص١٠٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن: ٢٠٠٤/٥ رقم: (٤٩٣٠)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها: ١٨٩٠/٤ رقم: (٢٤٣٩).

(٥) فتح الباري: ٣٢٦/٩.

إن معرفة الزوجين طباع بعظهما وأحوالهما وحسن تعاملهما معها تساعد على استقرار الحياة الزوجية واستمرارها، فإذا استوعب الرجل طباع زوجته وأحسن التعامل معها استطاع قيادة بيت الزوجية إلى شاطئ الأمان والمودة والرحمة، وإذا لم يعرف ذلك سيصطدم بسفينة بيت الزوجية في صخرة العناد والتنافر والكراهية ويحطمها وهو ما عبرَ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكسر، وكذلك المرأة لا بد أن تتعرف على طباع زوجها وتحسن التعامل معها لتهيئ الجو المناسب والرياح الهادئة لسير سفينة بيت الزوجية(١).

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرف الناس بطبائع النساء وهو ما يظهر في تعامله مع زوجاته أمهات المؤمنين، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه (مروا أبا بكر يصلي بالناس) قالت عائشة قلت إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل للناس، فقالت عائشة فقلت لحفصة قولي له إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل للناس ففعلت حفصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مه إنكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل للناس)(٢) ففي هذا الحديث أرجع رسول الله ﷺ الأمر إلى طبائع النساء عمومًا، ولم يرجعه إلى عائشة رضي الله عنها خصوصًا.

المطلب السادس: الحفاظ على خصوصية الأسرة

الزواج شراكة تذوب بسببه كثيرٌ من الخصوصيات بين الزوجين، فيطَّلع كل واحد منهما على تفاصيل وخفايا الآخر التي يسترها عن الناس ولا يحب البوح بها، وليس معنى ذلك انعدام الخصوصية فهناك أمور في حياة الرجل لا يحب أن تطلع عليها المرأة، وكذلك المرأة لديها من الخصوصيات مالا تود أن يطلع عليه الزوج، لذا شدد الإسلام على منع كُلٍّ من الزوجين من إفشاء خصوصيات حياتهما، لما في ذلك من خطر على الحياة الأسرية وإضرار بالطرف الآخر وانتهاك لحرمته وكرامته وخيانة أمانته، كما عد الإسلام أن من أشر الناس من لا يراعي خصوصية الأسرة، وفي ذلك يقول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها)(٣)، قال النووي: "وفي هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع، ووصف تفاصيل ذلك وما يجري من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه"(٤)، فالأصل في الحياة الزوجية صيانتها والحفاظ على خصوصيتها وعدم إفشاء ما يتعلق بها أو إطلاع الآخرين عليها، مهما رافقها من حب أو بغض، وسواء استمرت الحياة الزوجية أو انفصمت عراها، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]

(١) ينظر: معالم تربوية لأسرة راشدة: ص١١٧-١٢٠

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا بكى الإمام في الصلاة: ٢٥٢/١رقم: (٦٨٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم إفشاء سر المرأة: ١٠٦٠/٢رقم: (١٤٣٧).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٦٢/٥ رقم: (٢٥٩٧)

قال صاحب المنار: "وعاشروهن بالمعروف أي يجب عليكم أيها المؤمنون أن تحسنوا عشرة نسائكم بأن تكون مصاحبتكم ومخالطتكم لهن بالمعروف الذي تعرفه، وتألفه طباعهن، ولا يستنكر شرعًا، ولا عرفًا، ولا مروءة، فالتضييق في النفقة، والإيذاء بالقول، أو الفعل، وكثرة عبوس الوجه، وتقطيبه عند اللقاء كل ذلك ينافي العشرة بالمعروف، وفي المعاشرة معنى المشاركة والمساواة، أي عاشروهن بالمعروف وليعاشرنكم كذلك"(١).

إن على الزوجين ألا ينسيا ما كان بينهما من مودة ورحمة وإن وقع الطلاق، وألا يسب أحدهما الآخر ويلعنه ويحقد عليه أو يفشي سره ويظهر عيوبه وينشر خصوصياته، كما هو حال الكثير من الناس اليوم بعد الطلاق، حيث يتنكر كل واحد منهما للآخر، وتتحول العلاقة الأسرية بعد الانفصال إلى ميدان للخصومات ونشر للخصوصيات، وهذا مناقض لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

إن من أخطر القضايا التي تعاني منها الأسرة اليوم عدم الحفاظ على خصوصيتها ونشر ما يتعلق بها من أفراح وأتراح وخلافات ومشكلات، حتى أنه لم يعد لكثير من الأسر ما تحتفظ به من الخصوصية، نظرًا لكثرة حديث الزوجين أو أحدهما عن حياتهما الزوجية وأحوالهما الأسرية، ونشر يومياتهم وأحوال أسرهم وأخبارها بل وأدق تفاصيلها في المجالس وعبر وسائل التواصل الاجتماعي، الأمر الذي يؤدي إلى نشوء الخلافات الزوجية والمشكلات الأسرية وتطورها، ومن ثم يصعب حلها ومعالجة تداعياتها، ويغلق الباب أمام أي حوار أسري قد يبادر به أحد الزوجين.

المطلب السابع: الحزم والتحذير

من العوامل المؤثرة على الحوار بين الزوجين حزم الزوج مع زوجته وتحذيرها من الوقوع في الأخطاء، وإدراك المرأة جدية الزوج واستشعارها للحزم في تصرفاته، وهذا مستفاد من تحذير الله تعالى لعائشة وحفصة رضي الله عنهن من إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، وحزمه صلى الله عليه وسلم في التعامل مع ما بدر منهن تجاهه، قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

ففي الآية تهديد لأزواج النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إن لم يتبن ويصلحن من أمرهن ويقلعن عن خطئهن، فمصيرهن الطلاق والاستبدال ومغادرة بيت النبوة، فلم يكتف تعالى بإنذار هن وتهديدهن بالعقوبة المؤجلة، بل جاء الوعيد بعقوبة عاجلة وهي الطلاق والاستبدال بهن خيرًا منهن خَلقًا وخُلقًا وهذا من أشد أنواع التحذير وأقساها على المرأة، "والآية تتضمن غاية التهديد والوعيد على محاولات إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه لا شيء أشد وأقسى على المرأة من الطلاق، والعزم على التزوج بزوجة أخرى، فذلك قاصم للظهر، مؤرّق للبال، محطم دائم للشعور الذاتي بالسعادة في الحياة"(٢)، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها)(٣).

---

(١) محمد رشيد رضا: ٤/٣٧٤.

(٢) التفسير المنير: ٢٨/٣١٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء: ٢/١٠٩٠ رقم: (١٤٦٨).

ولما حصل الخلاف بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض أزواجه منهن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب، جاء عمر رضي الله عنه كما روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما اعتزل نبي الله صلى الله عليه وسلم نساءه قال دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون: طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه – وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب – فقال عمر: فقلت لأعلمن ذلك اليوم، قال فدخلت على عائشة فقلت: يا ابنة أبي بكر، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم! فقالت: مالي ومالك يا ابن الخطاب! عليك بعيبتك! قال فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها: يا حفصة، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم! والله لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحبك، ولولا أنا لطلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكت أشد البكاء، فقلت لها: أين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: هو في خزانته في المشربة، فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم... فقلت: يا رباح، استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإني أظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظن أني جئت من أجل حفصة، والله لئن أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقها لأضربن عنقها... قال: ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب، فقلت: يا رسول الله، ما يشق عليك من شأن النساء؛ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلما تكلمت – وأحمد الله – بكلام إلا رجوت أن يكون الله عز وجل يصدق قولي الذي أقول ونزلت هذه الآية، آية التخيير: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾ ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٞ﴾[1].

المطلب الثامن: التدخل الأسري الإيجابي

إنَّ من الواجب على أقارب الزوجين السَّعي في الإصلاح بينهما، وتقريب وجهات النَّظر بينهما، ومن الخطأ سكوت الأقارب عن الخلافات الزوجية حتى تتفاقم وتتَّسع، بل الواجب عليهم المبادرة والإسراع إلى حلها، فإنَّ سعي الخيرين والحريصين من الأهل والأقارب للإصلاح بين الزوجين من أعظم وسائل بقاء الحياة الزوجية واستمرارها، لا سيما وأن الخلافات الزوجية أمرٌ لا تكاد تسلم منه أسرة حتى بيت النبوَّة، فقد وردت الروايات التي تحكي وقوع الخلاف بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجاته، وتدخل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما للإصلاح، ومن ذلك ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: دخل أبو بكر يَستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم، فوجد الناس جلوسًا ببابه لم يؤذَن لأحد منهم، قال: فأُذن لأبي بكر، فدخل، ثم أقبل عمر، فاستأذن فأُذن له، فوجد النَّبي صلى الله عليه وسلم جالسًا حوله نساؤه، واجمًا ساكتًا، قال: فقال: لأقولنَّ شيئًا أُضحِك النبي صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة سألَتني النفقة، فقمتُ إليها فوجأتُ عنقها، فضحك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم، وقال: ((هنَّ حولي كما ترى

(١) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن: ٢/١١٠٥ رقم: (١٤٧٩).

يَسألنني النَّفقة))، فقام أبو بكر إلى عائشة يَجأ عنقها، فقام عمر إلى حَفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تَسألْنَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده؟! فقلن: والله لا نسأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم شيئًا أبدًا ليس عنده، ثم اعتزلهنَّ شهرًا أو تسعًا وعشرين، ثم نزلَت عليه هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ حتى بلغ: ﴿لِّلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩][1].

وهذا عمر رضي الله عنه يتدخَّل في الإصلاح بين ابنته حفصة وزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحذِّر ابنته من مغبَّة إغضاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما من حديث عمر رضي الله عنه وفيه قال: فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو متكئ على رمل حصير قدأ في جنبه فقلت أطلقت يا رسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه إلي وقال لا فقلت الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قومًا نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فتغضبت على امرأتي يومًا فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت ما تنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر أفتأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا هي قد هلكت ؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم منك وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم أخرى فقلت أستأنس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه شيئًا يرد البصر إلا أهبا ثلاثة فقلت ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسًا ثم قال أفي شك أنت ؟ يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرًا من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل[2].

ففي موقف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتدخلهما في هاتين الحادثتين يظهر لنا أهمية التدخل الأسري الإيجابي لحل الخلاف، ونزع فتيل الأزمة، وهذا التدخل الأسري هو ما دلنا عليه القرآن الكريم كخطوة أخيرة لمعالجة الخلافات الزوجية، قال تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ [النساء: ٣٥]، وإنما كانا من الأهل وأقارب الزوج والزوجة؛ لأن الأقارب تسكن إليهم النفس، وهم أعرف ببواطن الأحوال، وأحرص على إصلاح ذات البين، وأقدر على الاطلاع على ما لدى الزوجين من حب وبغض وإرادة صحبة وفرقة[3].

(١) المصدر السابق، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا إلا بالنية: ١١٠٤/٢ رقم: (١٤٧٨).

(٢) المصدر السابق، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن: ١١٠٥/٢ رقم: (١٤٧٩).

(٣) ينظر: الكشاف: ٥٠٨/١، البحر المحيط: ٦٢٩/٢.

المبحث الثاني: مقومات نجاح الحوار الزوجي

المطلب الأول: الثقة المتبادلة

يعد بناء الثقة وتعزيزها بين الزوجين من أهم عناصر العلاقة الزوجية الناجحة، فهي تعزز التواصل الإيجابي وتجعل الحياة الزوجية أكثر أمانًا واستقرارًا وسعادة، رغم ما قد تواجهه من مصاعب ومشكلات، ومتى تزعزعت الثقة حلَّ مكانها الشك وسوء الظن، وتحولت الحياة الزوجية إلى جحيم وسادها التوتر والقلق والاضطراب، فالشك إحساس سيء يدفع صاحبه إلى سلوكيات سلبية تفقده الثقة بنفسه وبالآخرين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [الحجرات: ١٢]، قال الواحدي: "وهو أن يظن بأخيه المسلم سوءًا [كأنه] سمع منه كلامًا لا يريد به سوءًا، أو رآه يدخل مدخلًا لا يقصد به سوءًا، فظن به سوءًا، فذلك الظن هو المأمور باجتنابه"(١)، فإذا كان هذا النهي في حق المسلم، فكيف بأقرب الناس وهما الزوجين، ومما يسهم في بناء الثقة وتنميتها بين الزوجين الحوار الصريح والصادق، فعندما يشعر كل منهما بأنه يمكنه التحدث بحرية دون خوف من الانتقاد تزداد ثقته بالآخر، وهناك بعض العوامل المساعدة في تعزيز الثقة بين الزوجين ومنها: الصدق والصراحة، والوفاء بالوعود، والاحترام المتبادل، والاعتراف بالخطأ، واحترام الخصوصية، والمشاركة في الأزمات، والتسامح وعدم التذكير بالأخطاء.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣] ففي هذه الآية نجد أن دافع النبي صلى الله عليه وسلم لاستيداع زوجه أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها السر هو ثقته بها، سواءً ما كان منه متعلقًا بامتناعه عن شرب العسل أو إتيان الجارية أو ما يتعلق بخلافة أبي بكر وعمر وتأكيده عليها ألا تفشيه كما ورد في بعض الروايات.

وفي الآية إشارة إلى أمور اجتماعية مهمة منها أنه لا مانع من الإباحة بالأسرار إلى من تركن إليه من زوجة أو صديق، وأنه يجب على من استكتم الحديث أن يكتمه، وأنه يحسن التلطّف مع الزوجات في العتب والإعراض عن الاستقصاء في الذنب(٢).

قال البغوي: "وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا، وهو تحريم فتاته على نفسه، وقوله لحفصة: «لا تخبري بذلك أحدا» وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: أسر أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة، قال الكلبي: أسر إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمتي من بعدي، وقال ميمون بن مهران: أسر إليها أن أبا بكر خليفتي من بعدي"(٣)، وقال ابن عاشور: "وذكرت حفصة بعنوان بعض أزواجه للإشارة إلى أن النبي صلى الله عليه

(١) التفسير البسيط للواحدي ٣٥٩/٢٠

(٢) ينظر: تفسير المراغي: ١٥٨/٢٨

(٣) معالم التنزيل: ١٦٣/٨

وسلم وضع سره في موضعه لأن أولى الناس بمعرفة سر الرجل زوجه"[١]، وقال الألوسي: "واستدل بالآية على أنه لا بأس بإسرار بعض الحديث إلى من يركن إليه من زوجة أو صديق، وأنه يلزمه كتمه"[٢].

إن الثقة المتبادلة بين الزوجين أساس نجاح الأسرة وصناعتها، فمن المهم تقدير قيمتها من الشريكين حيث لا يفعل أحدهما أمورًا تثير شكوك الشريك أو يستغل تسامحه، فيستمر في أفعاله؛ لأن هذه الأمور تهدم جسور الثقة، وتخلق حالة من الفوضى والتوتر، وقد تنتهي بانهيار الأسرة، فتقل تقدير قيمة الثقة من الطرفين تزيدها صلابة وترسخها وتبعث اجواء هادئة وحياة مستقرة.

المطلب الثاني: المحافظة على السر

حين أفشت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها سر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هذا الإفشاء موجعٌ للنبي صلى الله عليه وسلم، ومؤثرٌ على حياته الأسرية حتى هم بتطليقها، وجهت الآيات القرآنية العتاب إليها في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ [التحريم: ٣]، قال القرطبي: "عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ قال: اطلعت حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم مع أم إبراهيم فقال: "لا تخبري عائشة" وقال لها "إن أباك وأباها سيملكان أو سيليان بعدي فلا تخبري عائشة" قال: فانطلقت حفصة فأخبرت عائشة فأظهره الله عليه"[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ [التحريم: ٣] أي أخبرت به غيرها، وأعلنته بعد أن كان مستورًا، وأظهرته بعد أن كان خافيًا، والتعبير عن كشف هذا السرّ بقوله تعالى: ﴿نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾ إشارة إلى ما كان لهذا الحديث عند إظهاره من أثر في بيت النبي، وأنه أحدث هزّة، كشأن كل نبأ.. لأن النبأ هو الخبر المثير، الذي يغطّى على غيره من الأخبار[٤]، قال ابن عاشور: "وفي ذلك تعريض بملامها على إفشاء سره لأن واجب المرأة أن تحفظ سر زوجها إذا أمرها بحفظه أو كان مثله مما يحب حفظه"[٥].

ولئن كان إفشاء السر من الصفات الذميمة في أي شخص، فإنه من أحد الزوجين أعظم وأشنع، ذلك أن الإنسان الذي لا يحرص على شريكه ولا يكتم سر بيته، لهو أشر الناس منزلة عند الله تعالى؛ فلقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن مِن أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها)[٦].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٨/٣١٥

(٢) روح المعاني ١٤/٣٤٦

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٨/١٨٨.

(٤) ينظر: التفسير القراني: ١٤/١٠٢٦

(٥) التحرير والتنوير: ١٨/٣١٥.

(٦) سبق تخريجه.

لذا كان الإجراء الصارم الذي اتخذه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تجاه زوجاته جميعًا، حيث آلى على نفسه أن لا يقربهن شهرًا كاملًا بل وصل الأمر إلى تهديدهن بالطلاق، ليكون في ذلك تربية لهن وعبرة لغيرهن ودرس قاسٍ يبقى ماثلًا في أذهان كل زوجين.

وكعادة القرآن الكريم في التركيز على مواطن العظة والعبرة لم تذكر الآيات الأمر الذي حرمه الرسول صلى الله عليه وسلم على نفسه، أو الشيء الذي أسره لزوجه، وترك ذكر تفاصيل الحديث الذي عرف بعضه وأعرض عن بعض؛ باعتبار ذلك من الجزئيات التي لا يتعلق بها تشريع، إنما ركز على تأكيد جانب الثقة وإيداع السر وإفشاء أم المؤمنين له، وإطلاع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك، وكشفه جانبًا منه دون استقصاء ترفقًا وإبقاء للود(١).

المطلب الثالث: المصارحة

المصارحة بين الزوجين خطوة أساسية لبناء الثقة واستدامة الحياة الزوجية، فمن الضروري أن يصارح كل من الزوجين الآخر بما يحب وما يكره، وبما يمكن أن يكون قد وصل إليه أو فهمه أو التبس عليه من قول أو فعل صدر عن الآخر دون حرج، انطلاقا من العلاقة الوثيقة التي تربطهما، مع التنبه لاختيار ما يقال بطريقة راقية في الحوار، والوقت المناسب، وعلى الزوجين تقبلها بكل أشكالها، ولا يجوز لأحد أن يقابلها بطريقة عنيفة، بل يحترم صراحة الطرف الأخر حتى لا يلجأ مع الوقت إلى الكذب خوفًا من رد الفعل وتفقد الثقة.

إن من أهم الأسس التي تجعل الحوار مثمرًا الوضوح في طرح موضوع النقاش، وعدم استخدام الأسلوب المبطن الذي لا يعبر عن المشكلة للطرف الآخر بصورة واضحة، فتنشأ الالتباسات، ويبتعد الحوار عن مجراه الرئيس، ولقد أعطانا القرآن الكريم مثالًا واضحًا على المصارحة في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجه في سورة التحريم حيث نجده صلى الله عليه وسلم يصارحها بما بلغه من إفشائها سره وذكر لها جانبًا مما أفشته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣] فلم يكتم النبي صلى الله عليه وسلم الخبر الذي بلغه من العليم الخبير، بل لجأ إلى مصارحتها وإخبارها بالخطأ الذي وقعت فيه من إفشاء السر؛ لبيان خطورة ذلك وتأثيره على حياتهما الأسرية.

قال ابن عاشور: "وإنما نبأها النبيء صلى الله عليه وسلم بأنه علم إفشاءها الحديث بأمر من الله ليبني عليه الموعظة والتأديب فإن الله ما أطلعه على إفشائها إلا لغرض جليل والحديث هو ما حصل من اختلاء النبي صلى الله عليه وسلم بجاريته مارية وما دار بينه وبين حفصة وقوله لحفصة: «هي علي حرام ولا تخبري عائشة» وكانتا متصافيتين وأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على أن حفصة أخبرت عائشة بما أسر إليها"(٢)، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣] فحين أدركت أم المؤمنين حفصة أن النبي

(١) ينظر: تربية الأسرة المسلمة في ضوء سورة التحريم: ص ٣٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٨/٣١٤

صلى الله عليه وسلم يعلم تفاصيل حوارها مع عائشة رضي الله عنها وما دار بينهما سألت النبي، صلى الله عليه وسلم عمن أخبره بذلك الحديث الذي لم يشترك فيه سواهما، فكان جوابه صلوات الله وسلامه عليه ﴿نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾.

المطلب الرابع: التغافل والتغاضي

التغاضي عن بعض الأخطاء أحدُ الأساليب المهمة في معالجتها، والتجاهل في حقيقته هو: غضُّ الطَّرف عن نقيصةٍ بُغية عدم إحراج فاعلها، وبغيةَ توجيه رسالةٍ له مفادُها أنَّ هذا الخطأ غير مرغوب فيه، وهي نوعٌ من السمو الأخلاقي بغيةَ عدم إحراج المخطئ، وإعطائه فرصة معالجة الخطأ الذي وقع فيه، قال الحسن: "ما استقصى كريم قط"(١)، وقال سفيانُ الثوريُّ: "ما زال التغافل من فعل الكرام"(٢)، ولذلك قيل:

لَـــــيسَ الغَـــــبِيُّ بِسَـــــيِّدٍ في قَومِـــــهِ لَكِـــــنَّ سَـــــيِّدَ قَومِـــــهِ المُتَغـــــابي(٣)

لقد كان من أساليب النبي – صلى الله عليه وسلم – التي استخدمها في معالجة الخلافات الزوجية: أسلوب التغاضي والتغافل، وعدم التدقيق في كثير من التفاصيل المؤدية إلى الجدل والخصومة والعناد، ولعل أوضح مثال على ذلك القصة التي بين أيدينا في سورة التحريم حيث أظهر النبيّ صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين حفصة بعض ما كشفته من السر وتغاضى عن الباقي، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖ﴾، "وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى الكراهية في وجه حفصة أراد أن يتراضاها فأسر إليها شيئين: تحريم الأمة على نفسه، وتبشيرها بأن الخلافة بعده في أبي بكر وفي أبيها عمر رضي الله عنها فأخبرت به حفصة عائشة وأطلع الله تعالى نبيه عليه، عرف [بعضه] حفصة وأخبرها ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الأمة وأعرض عن بعض، يعني ذكر الخلافة كره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينتشر ذلك في الناس { فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ } أي أخبر حفصة بما أظهره الله عليه { قَالَت } حفصة ﴿قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ﴾ أي: من أخبرك بأني أفشيت السر؟ ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾"(٤).

قال القرطبي: "عرف حفصة بعض ما أوحي إليه من أنها أخبرت عائشة بما نهاها عن أن تخبرها، وأعرض عن بعض تكرمًا... وقال مقاتل: يعني أخبرها ببعض ما قالت لعائشة، وهو حديث أم ولده ولم يخبرها ببعض وهو قول حفصة لعائشة: إن أبا بكر وعمر سيملكان بعده"(٥)، "وإنما عرفها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ليوقفها على مخالفتها واجب الأدب من حفظ سر زوجها....وإعراض الرسول صلى الله عليه وسلم عن تعريف زوجه ببعض

(١) معالم التنزيل: ٨/١٦٤.
(٢) الكشاف للزمخشري: ٤/٥٦٥.
(٣) ديوان أبي تمام: ص٢٨.
(٤) معالم التنزيل: ٨/١٦٤.
(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٨/١٨٨.

الحديث الذي أفشته من كرم خلقه صلى الله عليه وسلم في معاتبة المفشية وتأديبها إذ يحصل المقصود بأن يعلم بعض ما أفشته فتوقن أن الله يغار عليه"[١].

وقوله تعالى: "عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ" – هو جواب «لما» أي لما أذاعت «حفصة» هذا السرّ، وأعلم الله النبي بما حدث: ﴿عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ أي كشف النبي عن بعض هذا الحديث الذي أذاعته حفصة، ولم يذكر لها كل ما دار بينها وبين من أفضت لها به، وما اتفقتا عليه من كيد فيما بينهما.. وذلك حتى لا يجرح شعورها، ولا يخدش حياءها، فلم يصرح لها بكل ما عرف، بل أخبرها بهذا في إشارة دالة غير فاضحة.. فإن الكريم لا يستقصي.. ومن أكرم من سيد الكرماء عليه الصلاة والسلام"[٢].

المطلب الخامس: الهدوء وعدم الانفعال

إن الحوار الناجح يحتاج إلى ضبط النفس والتحكم بالأعصاب والسيطرة على الانفعالات، ونجاحه لن يتحقق في حالة غضب المحاور أو انفعاله، الأمر الذي يوجب على طرفي الحوار أن يوقف حواره ويؤجله إلى وقت آخر حيث تبرد الأعصاب وتهدأ الخواطر وتزول الانفعالات[٣]، وهذا ما يرشدنا اليه القرآن الكريم في التعامل مع القريب والبعيد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

وفي الحوار بين الزوجين قد يكون الزوج أو الزوجة غاضبين من أمر ما، فحينها على الطرف الآخر ألا يغضب هو الآخر فيحتدم النقاش وينتهي بكارثة، وهنا يكون ضبط النفس وعدم الانفعال عنصرًا أساسيًا في التوصل إلى الحلول واستيعاب المشكلة بشكل كامل، لأن الانفعال في هذه الحالات سيزيد سوء التفاهم، ويبعد الحوار عن مجراه الرئيسي، كما يؤدي إلى فقدان الاحترام في الحديث، وفي العلاقة الأسرية بشكل عام، فيؤدي الحوار إلى نتائج عكسية.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣]، في الآية إشارة إلى عظمة شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وتمام هدوئه، وعدم انفعاله، وتماسكه، وسيطرته على أعصابه في حواره مع أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها حيث أخبرها ببعض ما تحدثت به مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند كشفها للسر وأعرض عن الباقي، وهذا ما يتماشى مع منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التحذير من الغضب، وفي الحديث أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني قال (لا تغضب)، فردد مرارًا قال (لا تغضب)[٤]، وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه: (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)[٥].

---

(١) التحرير والتنوير: ٣١٦/١٨.

(٢) التفسير القراني للقرآن: ١٠٢٦/١٤

(٣) الحوار الذات والآخر: ص٩٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب: ٢٢٦٧/٥ رقم: (٥٧٦٥).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب: ٢٢٦٧/٥ رقم: (٥٧٦٣)، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب: ٢٠١٤/٤ رقم: (٢٦٠٩).

المطلب السادس: الأخذ عن المصادر الموثوقة

من الأمور المدمرة للحياة الزوجية كثرة الإشاعات والكذب والافتراء واعتماد القيل والقال عدم التثبت من الأقوال، ولا سيما فيما يتعلق بالحياة الزوجية وحل المشكلات حين يتدخل كثير من الأفراد في شؤون الأسرة ممن لا يريدون لها استقرارًا ولا استمرارًا، فيوغلون الصدور بأقوالهم وينشرون الكذب والافتراءات وينقلون إلى كل من الزوجين ما يسوؤه من الآخر وينفره منه، لذا حذر القرآن الكريم من ذلك، حذر من نقل الأخبار دون تثبت، ودعا للتثبت من الأخبار وأخذها عن المصادر الموثوقة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

لقد أكدت الآيات الواردة في سورة التحريم على الأخذ عن المصادر الموثوقة تأكيدًا عمليًا، حيث نصت على مصدر الخبر في قوله تعالى: ﴿وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ [التحريم: ٣]، أي أطلعه الله تعالى على صنيع حفصة رضي الله عنها وإفشاءها السر الذي استكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه لعائشة رضي الله عنها، وذلك بإخبار جبريل عليه السلام دون التصريح باسم عائشة رضي الله عتها لعدم تعلق فائدة بذكره.

وحين تساءلت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، عن كيفية وصول حديثها مع عائشة رضي الله عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم، وكانت قد استكتمتها إياه، بادرت إلى سؤاله صلى الله عليه وسلم عن مصدر الخبر، فصارحها بالجواب وذكر لها مصدر الخبر، فهدأت نفسها وسكنت وزالت شكوكها وأيقنت أن عائشة رضي الله عنها لم تفش سرها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾،" أي حين علمت حفصة من النبي أنه يعلم كثيرًا مما دبرت هي وصاحبتها من كيد، سألت النبي عمن أنبأه بهذا الحديث الذي كان بينها وبين صاحبتها، والذي لم يكن معهما من شهد ما تحدث به، فقال لها النبي – صلوات الله وسلامه عليه – ﴿نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ أي الذي أخبرني بما أسررتما، هو الله سبحانه، وهو العليم بكل شيء، الخبير بما في السرائر من خير أو شر"(١).

الخاتمة:

بعد هذا الاستعراض الموجز لموضوع الحوار الزوجي في ضوء سورة التحريم خلص البحث إلى عدد من النتائج والتوصيات التي يمكن إجمالها في الآتي:

أولًا: نتائج الدراسة

١- اختلاف الحوار الزوجي في بعض جوانبه عن الحوار العام، وذلك راجع إلى اختلاف العلاقة الزوجية عن غيرها من العلاقات.

٢- الحوار من أنجع الوسائل في حل المشكلات الزوجية والأسرية، متى ما صدقت النيات وتوفرت إرادة الإصلاح.

٣- عدم اقتصار دور الحوار الزوجي على حل المشكلات الأسرية فقط، بل يتعدى ذلك إلى تحقيق التفاعل الإيجابي وتعزيز التواصل المباشر بين الزوجين.

(١) التفسير القرآني للقرآن: ١٠٢٦/١٤

٤- التأكيد على واقعية الحياة الزوجية والأسرية للنبي صلى الله عليه وسلم.

٥- بيان منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حل الخلافات الزوجية ومعالجة المشكلات الأسرية من خلال الحوار.

٦- إن نجاح الحوار الزوجي يعتمد على مقومات أساسية يجب توافرها وإلا تحول إلى مهاترات وانتصار للذات، وتعقيد للمشكلات.

٧- تحديد مرجعية الحوار من قوله تعالى: (لم تحرم ما أحل الله لك) والآية تفيد أن التحليل والتحريم حق لله عز وجل، وأن المرجع فيه شريعته تعالى.

٨- تحديد موضوع الحوار والتركيز عليه من خلال اقتصار الآيات على مناقشة قضية إفشاء السر وما يتعلق به.

٩- الدعوة إلى الرجوع عن الخطأ من خلال قوله تعالى: (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم)، والتحلل من اليمين في حال عقدها.

١٠- التأكيد على ضرورة فهم طبيعة الزوجين من خلال معرفة النبي صلى الله عليه وسلم لطبيعة زوجاته وطريقة تعامله معهن في هذه الحادثة وغيرها.

١١- الحفاظ على خصوصية الأسرة وأسرار الحياة الزوجية وهو ما يتضح من خلال سبب نزول الآيات ومجريات الحوار وأن الصحابة لم يكونوا يعلمون المشكلة لولا الحديث القرآني عنها.

١٢- أهمية التدخل الأسري الإيجابي في حل المشكلات الأسرية من خلال تدخل عمر رضي الله عنه وحديثه لابنته وموافقة الآيات لقوله.

١٣- أن من أبرز مقومات نجاح الحوار الزوجي الثقة المتبادلة، والمحافظة على الأسرار، وكذا المصارحة والأخذ عن المصادر الموثوقة، فضلًا عن التغافل والتغاضي والهدوء وعدم الانفعال.

ثانيًا: توصيات الدراسة

يوصي الباحث بالآتي:

١- استقراء السور القرآنية التي تناولت الأحداث والوقائع في سيرته صلى الله عليه وسلم، واستنباط معالمها واستنطاق هداياتها والإفادة منها عمليًا.

٢- الاهتمام بنشر وتعزيز ثقافة الحوار الزوجي والأسري من خلال تكثيف المحاضرات والندوات والدورات والبرامج التوعوية المتعلقة بالحوار الزوجي للمتزوجين والمقبلين على الزواج من الجنسين.

المصادر والمراجع:

أزمة الصمت في الحياة الزوجية كيف تتجاوزينها. سحر فؤاد أحمد. مقال منشور في شبكة الألوكة الاجتماعية، /https://www.alukah.net/social/0/408

الإنسان ذلك المجهول. الكسيس كاريل. تعريب شفيق أسعد، ط٣، مؤسسة المعارف: بيروت، (١٩٨٠م).

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى. تحقيق: محمد علي النجار، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي: القاهرة، (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور. ط١، مؤسسة التاريخ العربي: بيروت، لبنان، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

تربية الأسرة المسلمة في ضوء سورة التحريم. د. مصطفى مسلم. طبعة دار المنارة: مكة، (١٤١١هـ).

تفسير البحر المحيط. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي. تحقيق: صدقي محمد جميل، طبعة دار الفكر: بيروت، (١٤٢٠هـ).

تفسير القرآن العظيم. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع: (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

تفسير المنار. محمد رشيد رضا. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب: (١٩٩٠م).

التفسير القرآني للقرآن. د. عبد الكريم الخطيب. طبعة دار الفكر العربي: القاهرة.

تفسير المراغي. أحمد مصطفى المراغي. طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: مصر.

التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. وهبة بن مصطفى الزحيلي. ط٢، دار الفكر المعاصر: دمشق، (١٤١٨هـ).

جامع البيان في تأويل القرآن. محمد بن جرير الطبري. تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.

الجامع لأحكام القرآن. أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي. تحقيق: سمير البخاري، طبعة دار عالم الكتب: الرياض، المملكة العربية السعودية، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة. يحي بن محمد زمزمي. ط١، دار التربية والتراث: مكة، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة. يحي محمد حسن زمزمي. [رسالة ماجستير منشورة]، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية. أحمد الصويان. طبعة دار الوطن، الرياض.

الحوار الأسري التحديات والمعوقات. صالحة بنت عبدالرحمن الوائلي. طبعة مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني: الرياض، (٢٠٠٩م).

الحوار الأسري وأهميته في وقاية الأسرة من التفكك. دراسة تحليلية تأصيلية، رسالة دكتوراه للباحثة نبيله علي حسين الروني. جامعة القرآن الكريم بالسودان، (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م).

الحِوار الإسلامي المسيحي. بسام عجك. ط١، دار قتيبة: دمشق، (١٤١٨هـ).

الحوار الذات، والآخر. عبد الستار إبراهيم الهيتي. كتاب الأمة، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية: قطر، (١٤٢٥هـ).

الحوار الزوجي في ضوء السنة النبوية: مفهومه – أسس نجاحه – مقاصده. مستوره رجا حجيلان المطيري. *مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية*، الصادرة عن جامعة الكويت، ٣٠(١٠٣)، ديسمبر، (٢٠١٥م).

دور كلية التربية في ترسيخ المضامين الناظمة للعلاقات الزواجية من حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع أمهات المؤمنين للطلاب. بحث منشور للدكتورة آمال محمد إبراهيم إسماعيل. *مجلة جامعة جنوب الوادي الدولية*، ٦(١٠)، يونيو (٢٠٢٣م).

ديوان أبي تمام. أبي تمام الطائي حبيب بن أوس.

سنن الترمذي. أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، طبعة دار إحياء التراث العربي: بيروت.

سنن النسائي الكبرى. أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي. تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، (١٤١١هـ/١٩٩١م).

صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير: اليمامة، بيروت، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. طبعة دار إحياء التراث العربي: بيروت.

فتح الباري شرح صحيح البخاري. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. طبعة دار المعرفة: بيروت، (١٣٧٩هـ).

القاموس المحيط. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، لبنان، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

كتاب العين. أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، طبعة دار ومكتبة الهلال.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. طبعة دار الكتاب العربي: بيروت، (١٤٠٧هـ).

المضامين التربوية في حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع النساء. دراسة تحليلية في صحيح البخاري، د. عبد الفتاح أحمد عبد الرزاق، د. حمدي حسن أيوب. بحث منشور في *مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس، كلية التربية*، جامعة الأزهر، ٣(٢٢)، (٢٠١٢م).

معالم التنزيل. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي. تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع: (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

معالم تربوية لأسرة راشدة. عبد اللطيف البريجاوي. طبعة دار الارشاد للنشر: مصر.

المفردات في غريب القرآن. الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني. تحقيق: صفوان عدنان داودي، طبعة دار العلم الدار الشامية: دمشق. بيروت، (١٤١٢هـ).

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. أبو زكريا يحيى بن شرف النووي. ط٢، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (١٣٩٢هـ).

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي. تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية: بيروت، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

نيل الأوطار. محمد بن علي الشوكاني. تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث: مصر.